

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمَثُلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

[الحشر: 21]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لما ذكرت الآيات السابقة مصير أهل الجنة وأهل النار، وأنَّ كلاً منهما اختار مصيره بسبب طاعة القرآن أو مخالفته؛ ناسب الانتقال إلى ذكر القرآن الكريم الذي هو سبب النجاة والفوز، وسبب الخسران العظيم؛ لبيان سبب افتراق المصائر، وأنَّه قائم على العلة العظمى، وهي القرآن الكريم، وانتقال السورة بعد رحلتها مع غزوة بني النضير والمنافقين إلى الحديث عن القرآن إيذاناً بانتهائها؛ لأنَّه انتقالٌ بعد طول الكلام في غرض فتح قرى اليهود، وما نال المنافقين بسببه من خسران في الدنيا والآخرة، وفيه من حسن الختام ما سيأتي بيانه⁽¹⁾.

الانتقال من
نتائج الأعمال
إلى أسبابها

✽ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿خَاشِعًا﴾: (خَشَعَ) أَصْلٌ وَاحِدٌ، يُدُلُّ عَلَى التَّطَامُنِ، يُقَالُ: خَشَعَ؛ إِذَا تَطَامَنَ، وَطَاطَأَ رَأْسَهُ، يَخْشَعُ خُشُوعًا، وَهُوَ قَرِيبُ الْمَعْنَى مِنَ الْخُضُوعِ، إِلَّا أَنَّ الْخُضُوعَ فِي الْبَدَنِ وَالْإِقْرَارَ بِالِاسْتِخْذَاءِ، وَالْخُشُوعَ فِي الصَّوْتِ وَالْبَصَرِ⁽²⁾، وَقِيلَ: هُوَ: الضَّرَاعَةُ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ الْخُشُوعُ فِيمَا يَوْجَدُ عَلَى الْجَوَارِحِ⁽³⁾، وَالْمَعْنَى الْمَحْزُورِي: هَبُوطٌ مَا شَأْنُهُ الارتفاعُ وَالْغَلْظُ، لِتَسْبِيبِ أَثْنَائِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝﴾ [الإسراء: 109]، وَقَالَ: ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ﴾

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28 / 116.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (خشع).

(3) الرزغب، مفردات القرآن: (خشع)، والفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: 2 / 541.

[طه: 108]، ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ [القلم: 43]، ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةً﴾ [التأزيات:

9]، وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَتْهُ خَشِيعًا﴾: معناه: مطمئنًا مخبئًا على صلابته متدللًا باكيًا⁽¹⁾.

(2) ﴿مُتَّصِدًا﴾: (صدع) أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْفِرَاجٍ فِي الشَّيْءِ، يُقَالُ: صَدَعْتُهُ فَانْصَدَعَ وَتَصَدَّعَ، وَالصَّدْعُ: الشَّقُّ فِي الْأَجْسَامِ الصُّلْبَةِ كَالزُّجَاجِ وَالْحَدِيدِ وَنَحْوَهُمَا⁽²⁾ ومعناه المحوري: شَقٌّ دَقِيقٌ يَفْصِلُ الشَّيْءَ الصَّلْبَ أَوْ الْمَلْتَحِمَ، وَيَخْتَرِقُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: 94]، أَي: شَقِّ جَمَاعَاتِهِمْ بِالتَّوْحِيدِ⁽³⁾، وقوله: ﴿لَرَأَيْنَتْهُ خَشِيعًا مُتَّصِدًا﴾، معناه: متشقَّقًا.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

القرآن الكريم
عظيم التأثير في
القلوب، شديد
التغيير للسلوك

فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ تَعْجِيبٌ مِنْ حَالِ مَنْ لَا يَهْتَدِي بِالْقُرْآنِ، وَلَا يَسْتَجِيبُ لِهَدْيِهِ، وَتَنْبِيهِ إِلَى أَنَّهُ مَنَارٌ هَدَايَةٌ، بِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ فَنُونِ الْقَوَارِعِ، وَدُرُوبِ الرِّغَائِبِ، وَمَنَاهِلِ الْعُرْفَانِ، بِحَيْثُ لَوْ أُنْزِلَ عَلَى جَبَلٍ أَصَمٍّ مِنَ الْجِبَالِ الْعَاتِيَةِ: لَرَأَيْنَاهُ - مَعَ كَوْنِهِ مَثَلًا فِي الْقِسْوَةِ، وَأَصْلًا فِي الرُّسُوحِ وَالثَّبَاتِ - مَتَهَاوِيًا مَتَدَاعِيًا مُتَشَقِّقًا مِنْ قُوَّةِ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَشِدَّةِ جَبْرُوتِهِ؛ لَعَلَّوْ شَأْنَ الْقُرْآنِ وَبِلَاغَةِ تَأْثِيرِهِ بِالزَّوْاجِرِ وَالْقَوَارِعِ، كَمَا تَبَيَّنَ الْآيَةُ أَنَّ الْغَرَضَ مِنَ الْأَمْثَالِ الَّتِي يَضْرِبُهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَفِي غَيْرِهَا أَنْ يَتَفَكَّرَ النَّاسُ فِي مَعَانِيهَا، وَيَدْرِكُوا مَرَامِيهَا، فَيَنْعَكِسَ ذَلِكَ عَلَى سُلُوكِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ⁽⁴⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 462/19.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاعِبُ، مفردات القرآن: (صدع).

(3) محمد جبل، العجم الاشتقاقِي: (صدع)، والفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: 364/3.

(4) مجمع البحوث الإسلامية، التفسير الوسيط: 1369/10.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

علة فصل الآية عما قبلها:

جاءت جملة: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ مستأنفةً استئنافاً ابتدائياً؛ للتنبؤ به بشأن القرآن الكريم والتنبؤ به إلى عظيم أثره في أشد المخلوقات صلابة وأقواها رسوخاً وثباتاً، والتعجب من حال من هم ألين قلوباً، وأرق أفئدة وأضعف بنية معه، وتوبيخهم على قسوة قلوبهم، وقلة تخشعهم عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره⁽¹⁾.

نوع ﴿لَوْ﴾ ودلالاتها:

﴿لَوْ﴾ في جملة: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ حرفٌ شرطٌ يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتأليه⁽²⁾، وفي التعبير به تشويقٌ للمتلقى وإثارته إلى معرفة حال الجبل عند نزول القرآن عليه، حتى إذا ورد؛ كان له عظيم الأثر في تعظيمه القرآن، وإنزاله المنزلة اللاتقة به، والمعنى: لو أنزلنا هذا القرآن العظيم على جبل من الجبال الصلبة، وخاطبناه به لرأيت - أيها العاقل - هذا الجبل الذي هو مثال في الشدة وعدم التأثر خاشعاً مُتَصَدِّعاً من خشية الله⁽³⁾، وثم معنى آخر يلوح من التعبير بحرف الامتناع، وهو أن الله تعالى منع نزول القرآن على الجبل تشريعاً للإنسان وتكريماً؛ إذ خصه باستقبال وحيه، وفضله على جميع خلقه بتلقيه، ليُصلح به حاله، ويضبط به حياته، وأن على الإنسان أن يشكر ربه على ذلك الإنعام بحسن التعامل مع القرآن قراءةً، وخشوعاً، وتدبراً، وفهماً، وعملاً.

دلالة التعبير بـ ﴿أَنزَلْنَا﴾:

أثر النظم الكريم التعبير بفعل الإنزال ماضياً ﴿أَنزَلْنَا﴾؛ لأنَّ

التنبؤ به بشأن
القرآن بعد بيان
حال موافقيه
ومخالفه

تشويق المتلقي
وإثارته لمعرفة
حال الجبل مع
القرآن

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 509.

(2) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق، محمد كامل بركات، ص: 240.

(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 310.

المقصود التمثيل بإنزال القرآن كاملاً وفي زمن واحد وما يحدث عن ذلك؛ إن وقع، لا الإخبار عن تنزيل القرآن كما وقع.

دلالة إسناد فعل الإنزال للضمير:

أسند فعل الإنزال إلى ضمير العظمة تفخيماً لشأن القرآن، وإعلاءً لقدره، والمعنى: لو أنزلنا بعظمتنا التي أبانها هذا الإنزال⁽¹⁾؛ لحصل كيت وكيت.

بلاغة الاستعارة في فعل الإنزال:

المراد بإنزال القرآن على الجبل في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ﴾ **الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ**: مخاطبة الجبل بما في القرآن من أوامر ونواهٍ، وزواجر وقوارع ورغائب؛ ليعمل بها، كما يُنزل ذلك على رجلٍ، والتعبير عن ذلك بفعل الإنزال استعارة تصريحية، شبه فيها خطاب الجبل بالإنزال، ثم استعير الثاني للأول على طريقة التبعية؛ تشبيهاً لشرف الشيء بعلو المكان، ولإبلاغه الآخرين بإنزال الشيء من علو⁽²⁾.

فائدة استعمال اسم الإشارة:

آثر النظم الكريم استعمال اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ دون أن يقول: (لو أنزلنا القرآن على جبل)؛ وذلك لتعيين المشار إليه وتخصيصه، حتى لا يذهب الوهم إلى غيره، فإن تطرّق الاحتمال يذهب قوة الاستدلال، وللتعريض بأن القرآن غير بعيد عن المتلقين، وأنه في متناولهم، ولا كلفة عليهم في تدبره، ولكنهم هم الذين قصدوا الإعراض عنه، وتعمدوه⁽³⁾.

دلالة التعبير باسم ﴿الْقُرْآنَ﴾:

أوثر التعبير بـ ﴿الْقُرْآنَ﴾ دون غيره من أسماء الوحي الكريم؛

تشبيه الخطاب
بالأمر والنهي
بإنزال القرآن
من أعلى

تعيين المقصود
ودفع تطرّق
الاحتمال

ذكر الاسم
العلم مقصود
لذاته لدفع
الالتباس

(1) البقاعي، نظم الدرر: 462/19.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 116/28.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 116/28.

لأنَّه الاسمُّ الأشهرُّ والأكثرُ تداولاً، ولأنَّه كذلك الاسمُّ الجامعُ لجميع العلوم، الفارقُ بين كلِّ ملتبس، المبينُ لجميع الحِكَم⁽¹⁾، وثمَّ حكمةٌ أخرى تكمن في أنَّ القراءة - التي يدلُّ عليها - هي الوسيلة الأكثر تأثيراً في متلقّيه، والأيسر في إبلاغهم بما فيه، والأسهل في إعلامهم بأوامره ونواهيه، ولذا أمرَ الرَّسولُ ﷺ بتكرارها، في قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: 106].

براعة تعدية فعل الإنزال بحرف الاستعلاء:

استعمال حرف الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿عَلَى جَبَلٍ﴾ تأكيدٌ لنزول القرآن من عند الله تعالى، وأنَّه وحيُّه إلى النَّاس من غير شكٍّ أو ريبٍ، وتقويةٌ لعلو شأنه وارتفاع قدره، وفيه أيضاً إلماحٌ إلى أنَّ القرآن يسيطر على ما نزل عليه، ويتمكَّن منه تمكُّن الرَّاكِبِ المُستَعْلِي القادر على التَّوجيه والتَّصرف والتَّحويل.

توجيه تخصيص الجبل بالتَّمثيل، ولطيفة تنكيهه:

خُصَّ اختيار الجبل للتَّمثيل بإنزال القرآن عليه دون مخلوقات الله تعالى؛ لأنَّه المثلُّ في التحجُّر والشَّدة، والعَلَمُ في القسوة وعدم التأثر ممَّا يصادمه⁽²⁾، وأوثر تنكيهه لما يفيد التَّنكير من العموم والتَّعظيم، والمعنى: لو أنزلنا هذا القرآن العظيم الشَّان المنطوي على فنون القوارع على جبل من الجبال، أو على جبل عظيم⁽³⁾؛ لرأيت منه العجب في الخشوع والامتثال.

نوع اللام ودلالاتها:

اللام في قوله تعالى: ﴿لَرَأَيْتُهُ﴾ هي التي تربط الجوابَ بالشرط، وهي تدلُّ على أنَّ رؤيةَ البشر للجبل خاشعاً متأثراً بمخاطبة القرآن

إنزال القرآن
ليعملوا على
الخلق في الحق

الجبل مثال في
التحجر والشدة
لكنه مع القرآن
لأن واستقام

رؤية الجبل
متأثراً بالقرآن
قطع الحس
حتمى المشاهدة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 462/19.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 233/8.

(3) الألوسي، روح المعاني: 255/14.

له، وتشريفه بالنزول عليه أمرٌ حاصلٌ بكل تأكيد، وواقع من غير أدنى شكٍّ أو ريب، ولا يخفى ما فيه من تعريضٍ بالقاسية قلوبهم، الذين لم يقدروا نعمة إنزال القرآن إليهم، فلم يخشعوا لتلاوته، ولم يمتثلوا أوامره، ولم يجتنبوا نواهيه.

نوع الرؤية في قوله: ﴿لَرَأَيْتَهُ﴾:

رؤية الجبال
متأثرة بالقرآن
رؤية بصرية
تمنع الشك،
وتحجب الريب

التعبير بفعل الرؤية جواباً للشرط في قوله تعالى: ﴿لَرَأَيْتَهُ﴾ دالٌّ على أنها رؤيةٌ بصريةٌ، تمنع الشك، وتحجب الريب، ويرى بها المخاطب كيف تتأثر الجبال وغيرها من مخلوقات الله بذلك القرآن النازل إليها من عند الله؟ وكيف تخضع له خضوعاً يخرجها عن طبيعتها الصلبة، وينقلها من حال الشدة إلى حال الليونة والرفقة.

تعيين مرجع ضمير الخطاب:

احتمال
خصوص
الرسول وعموم
الخلق قائم،
والعموم أولى

جاء فعل الرؤية مسنداً إلى ضمير المخاطب، المراد به: رسولُ الله ﷺ في المقام الأول؛ إذ هو المؤهل لهذه الرؤية دون غيره كما يرى البقاعي⁽¹⁾، وإن كان هذا لا يمنع أن يكون الضمير لغير معين، فيعم كل من يسمع هذا الكلام⁽²⁾، بقرينة قوله تعالى بعده: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

دلالة التعبير بالخشوع مادة وصيغة:

خشوع الجبال
عند نزول القرآن
تشهده الأكوان

قوله: ﴿خَاشِعًا﴾ مفعولٌ ثانٍ لفعل الرؤية، أو حالٌ من الضمير المنصوب فيه، وفي التعبير به دلالة على أن أحدَ مظاهر تأثير القرآن في الجبال هو رؤيتها على حالة حقيقيّة من الخشوع والاستسلام من غير تكلفٍ ولا تظاهرٍ، مع فقدها أسباب العقل والفهم⁽³⁾، وأوثر التعبير به اسماً مشتقاً؛ للدلالة على ثبوت هذا الوصف ودوامه

(1) البقاعي، نظم الدرر: 462/19.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 117/28.

(3) للتريدي، تأويلات أهل السنة: 1/496.

للجبال وغيرها من المخلوقات؛ كلما تلي عليها كلامُ الله تعالى، أو خوطبت به.

وجه تقديم الخشوع على التصدّع:

قدّم لفظ ﴿خَشِعًا﴾ على ﴿مُتَّصِدِّعًا﴾؛ لأنَّ الخشوعَ من أفعال القلوب، وتأثّر القلوب هو الخطوة الأولى التي ينبني عليها التصدّع والتشقق، وتغيير الأفعال وتبديل السلوك، فقدّم ذكر الخشوع على التصدّع باعتباره تقديم السبب على مسببه، كما أنّه من باب تقديم الفاضل على المفضول، ومن تقديم التّرجيب على التّرهيب، فالخشوع مظهر من مظاهر التّرجيب، والتصدّع مظهر من مظاهر التّرهيب.

موقع ﴿مُتَّصِدِّعًا﴾ الإعرابي ودلالته:

قوله: ﴿مُتَّصِدِّعًا﴾ حال ثانية من مفعول فعل الرّؤية، أو صفة لـ ﴿خَشِعًا﴾، والتّعبير به دالٌّ على أن المظهر الثّاني من مظاهر تأثّر الجبال بالخطاب القرآني هو تصدّعها وتشققها مع ما فيها من عظيم الصّلاية وشدة المتانة، وفي ذلك برهانٌ على قوّة تأثير القرآن، وعمق نفاذه إلى المخلوقات الصّلبة، وإلى المخلوقات اللّينة الرّقيقة من باب أولى، والمعنى: لو كان الجبل في موضع هؤلاء الذين نسوا الله، وأعرضوا عن فهم القرآن، ولم يتّعظوا بمواعظه، لآتّعظ الجبل، وتصدّع صخره من شدة تأثّره بخشية الله، وضرب التصدّع مثلاً لشدة الانفعال والتأثّر؛ لأنّ منتهى تأثّر الأجسام الصّلبة أن تشقق، وتتصدّع؛ إذ لا يحصل ذلك لها بسهولة⁽¹⁾.

بلادة التّعبير بالتصدّع دون التشقق:

آثر النّظم الكريم التّعبير بمفردة التصدّع في قوله: ﴿مُتَّصِدِّعًا﴾ دون التشقق، والتصدّع هو انصداع الجرم القاسي إلى شقين، أمّا

السبب مقدّم
على مسببه
والفاضل على
المفضول

تشقق الأجسام
الصّلبة
وتصدّعها لا
يحدث إلّا بشيء
عظيم الأثر قويّ
النّفاذ

التصدّع دالٌّ
على عمق الأثر،
بينما التشقق
فدو أثر سطحيّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 116 / 28.

التَّشَقُّق؛ فهو إحداث شقوقٍ في الجرم، فالتصدّع أبلغ وأقوى دلالة، وأثر القرآن عميقٌ في القلوب الحيّة، وعظيم فعله في النفوس السويّة؛ إذ تصير بعد فهمه وتدبُّره إلى حال غير الحال التي كانت عليها قبل ذلك، فتتغيّر أخلاقُها، ويتبدّل سلوكها؛ إن كانت على حالة غير سويّة، أو يتعمّق الإيمانُ فيها، وتزداد ثباتًا على ما هي عليه، وسعادة ورضا بما هي فيه إن كانت مطمئنّة بالإيمان، وذلك مُستنبط من دلالة التصدّع على: انفراج الشّيئين وابتعادهما⁽¹⁾، ودلالة التشقّق على مجرّد الخرم الواقع في الشّيء⁽²⁾، فالتعبير بالتصدّع دالٌّ على قوّة أثر القرآن في الجبل المؤدّي إلى تصدّعه، لا إلى مجرّد تشقّقه، وهو ما يجب أن يكون في المتلقّين من البشر العقلاء.

نوع ﴿مِّنْ﴾ ودلالاتها:

﴿مِّنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ حرفٌ جرٌّ يدلُّ على أنّ السبب الذي يجعل الجبلَ خاشعًا متصدّعًا عند نزول القرآن عليه، أو مخاطبته بما فيه من أوامر ونواهٍ وزواجر ورغائب هو خوفه العظيم ممّن له الكمال كلّهُ؛ حذرًا من ألا يكون مؤدّيًا ما افترض عليه من تعظيم القرآن عند سماعه⁽³⁾.

دلالة ذكر لفظ الخشية دون الاكتفاء باسم الجلالة:

أضيف لفظ الخشية إلى اسم الجلالة في قوله تعالى: ﴿مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، ولم يقل: (خاشعًا متصدّعًا من الله)؛ للدلالة على أنّ القرآن يُحدِّث في متلقّيه حالة من الخشية التي هي لله تعالى، والمتلقّي يخشع، ويتصدّع من هذه الخشية، فكيف يكون الأمر مع الله تعالى؟ وهذا بخلاف ما لو قيل: (من الله) فقط؛ لدلالة ذلك على أنّ الخشية بسبب الله، أو مبتدئة من الله تعالى، ولا أثر للقرآن

الخشية من الله
سبب تصدّع
الجبل وخشوعه

القرآن يُحدِّث في
متلقّيه حالةً من
الخوف المقترن
بتعظيم الله
وخشيته

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صدع).

(2) الرّاعب، مفردات القرآن: (شق).

(3) البقاعي، نظم الدرر: 462/19.

فيها، وكذلك الأمر لوقيل: (متصدعاً من الخشية) بدون ذكر اسم الجلالة؛ لدلالته على أنّ الخشوع والتصدع حاصلان من تحقق الخشية ووجودها في الجبل، وأنّ القرآن ليس له أثرٌ فيهما.

غرض المثل المضروب بالجبل:

المثل المذكور في الآية الكريمة مضروبٌ؛ لبيان علوّ شأن القرآن، وعظيم تأثيره، والغرض منه توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وقلة تخشّعه عند تلاوة القرآن الكريم، وعدم تدبّر ما فيه من القوارع والزّواجر والمواعظ، وهو الذي لو أنزل على جبل - وقد رُكّب فيه العقل - لخشع، وتصدّع⁽¹⁾، فما لابن آدم وقد آتاه الله من العقل ما لم يؤثّر الجبل يستخفّ بحقّه، ويُعرض عمّا فيه من العبر⁽²⁾.

نوع الواو ودلالاتها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ﴾ هي واو الاستئناف، والجملة بعدها تذييل؛ لأنّ ما قبلها سيق مساق المثل، فذيلٌ بأنّ الأمثال التي يضربها الله في كلامه مثل هذا المثل أراد منها أن يتفكّروا، فإن لم يتفكّروا بها؛ فقد سجّل عليهم عنادهم ومكابرتهم⁽³⁾.

نكتة استعمال اسم الإشارة للبعيد:

يُراد على ذلك ما في الإشارة بالاسم الدال على البعد من تعظيم المشار إليه، بإنزال ما فيه من بعدٍ معنويٍّ منزلة البعد المكانيّ.

بلاغة الإشارة بالجمع (تلك) والمثل واحد:

المضروب في السّورة مثل واحدٌ بالجبل، ومع ذلك عبّر البيان الكريم باسم الإشارة الدال على الجمع، فقال: ﴿وَتِلْكَ﴾؛ للإشارة إلى هذا المثل وإلى غيره من الأمثال التي مرّت على أسماعهم في

توبيخ الإنسان
على قسوة قلبه
وقلة تدبّره
القرآن

استئناف جملة
التّذييل لبيان
مقاصد المثل

المثل القرآنيّ
عند تأمله هو
مجموعة أمثال
في الاعتبار

(1) الألوسي، روح المعاني: 310 / 14.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 462 / 19.

(3) الزمخشري، الكشاف: 509 / 4، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 117 / 28.

مواضع من التنزيل، وتقدير الكلام: ضربنا هذا مثلاً، وتلك الأمثال أيضاً نضربها للناس⁽¹⁾، كما أن الجمع يُشير إلى أن تدبر المثل المضروب بمنزلة أمثال كثيرة، لو تأمل الناظر لما أحصاها، كما أن الجميع يُشير إيماءً إلى أمثال مضروبة في القرآن مثل هذا المثل، على المتلقي أن يُنادي عليها؛ لينظر فيها، فيصل إلى رتبة التأمل الرفيع، ودرجة التدبر العالي.

بلاغة التعبير بـ ﴿نَضْرِبُهَا﴾:

ضرب الأمثال
أوضح بياناً
وأشدّ قوّة من
مجرد بيانها

الضربُ مستعملٌ مجازاً في الوضع والجعل، من قولهم: ضرب خيمةً وضرب بيتاً⁽²⁾، والتعبيرُ به دالٌّ على الإنشاء والإحداث، ما يعني: أن الله تعالى يأتي بأمثالٍ لا نظير لها ولا شبهة بها، ويخرجها من العدم إلى الوجود، ويضعها بأسلوب قويٍّ مؤثر في ذهن المتلقي، بقصد تقريب المعاني وإيصالها للناس، وليزيل بها ما هم فيه من تذبذب واضطراب وبعدٍ عن منهج الله جلّ في علاه⁽³⁾، ولو قيل: (نُبَيِّنُهَا)؛ لدلّ ذلك على وجود المثل من قبل، وأن القرآن أعاد بيانه وتوضيحه فقط، وفيه دلالة على العجز عن ضرب الأمثال وإيجادها، وأيضاً فإنه يحدث نوعاً من الاضطراب والتردد بين معنى المثل القديم ومعناه الجديد، ومن ثمّ لا تتحقّق الغاية من إيرادها، كما أن فعل الضرب فيه قوّة أثر المثل المضروب في المتلقي، بحيث ينزل بقوة على المتلقي، بخلاف البيان فهو كشف الغموض فحسب.

نكتة التعبير بـ ﴿نَضْرِبُهَا﴾ مضارعاً مسنداً لضمير العظمة:

تفخيم الأمثال
المضروبة وإعلاء
شأن مضمونها

جاء بفعل الضرب مضارعاً، فقال: ﴿نَضْرِبُهَا﴾؛ لما يفيد من الدلالة على تجدد ضرب الأمثال بين الوقت والآخر، وبين السورة والأخرى، وبين الموقف وغيره، ففي كل مرة يُضرب المثل يكون

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28 / 117.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1 / 359.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 19 / 463.

مغايرًا لما قبله، ويكون ما بعده كذلك مغايرًا له، وأقلُّ هذه الأمثال البعوضة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: 26]، وأسند فعل الضرب إلى ضمير الحق سبحانه بصيغة التعظيم؛ لتفخيم الأمثال المضروبة، وإعلاء شأنها، والإلماح إلى ضرورة التفكُّر فيها، والاتِّعاظ بها؛ لأنَّ الله تعالى هو الَّذي وضعها بنفسه؛ حرصًا على مصلحة خلقه.

نوع اللَّام ودلالاتها:

اللام في قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ أفاد تبليغ الأمثال للناس، وفي التعبير به دلالة على أنَّ الله تعالى ضرب المثل الَّذي جاء في السَّورة، والأمثال التي مرَّ ذكرها في القرآن الكريم؛ لأجل تقريب الحقائق إلى عقول النَّاس؛ ليرَوْا على مرآتها أحوالهم، وما في تلك الأحوال من انحرافٍ أو عوجٍ، حتَّى يقوموا منها ما انحرف، ويصلحوا ما اعوجَّ؛ إذا كانت لديهم عقولٌ يعقلون بها، أي: إنَّ هذه الأمثالَ مضروبةٌ لأجل مَنْ يعقل مِنْ النَّاسِ بصفة خاصَّة، ولأجل مَنْ يتفكَّر فيما عَقَلَ بصفةٍ أخصَّ⁽¹⁾.

نوع (أل) ومعناها في ﴿لِلنَّاسِ﴾:

(أل) في ﴿لِلنَّاسِ﴾ لتعريف الجنس، وهذا يعني: أنَّ الفائدة المرجوة من ضرب الأمثال لا تنحصر في ناسٍ معيَّنين، وإنَّما تعمُّ النَّاسَ أجمعين، ويدخل فيهم القاسيةُ قلوبهم والمتردِّدون المتذبذبون من باب أولى، والمعنى: نضربها للنَّاس الذين يحتاجونها، وهم مَنْ فيهم تذبذب، واضطراب⁽²⁾.

بلادة استعمال (لَعَلَّ):

(لَعَلَّ) حرفٌ نسخ يفيد الترجي، وهو أصل معانيه، وهو ترجُّ للعباد، والمعنى: نضرب الأمثال للنَّاس رجاء أن يتفكَّروا، أو يتَّعظوا⁽³⁾،

تبليغ الأمثال
للناس هدفٌ
ضربها وتقريب
حقائقها لمن
يعقل، ويتفكَّر

فوائد ضرب
الأمثال تعمُّ
النَّاسَ أجمعين

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14 / 880.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 19 / 463.

(3) اللراي، الجنى الداني، ص: 580.

رجاء تفكر
الناس في
الأمثال تعليل
ضربها لهم

أي: إنَّ ضرب الأمثال للنَّاس فيه نفع أكيد لهم، ويمكن أن يفيد التَّعليل، والمعنى: تلك الأمثال الباهرة التي اشتمل عليها هذا القرآن العظيم، نضربها، ونسوقها للنَّاس، لكي يتفكروا فيها، ويعملوا بما تقتضيه من توجيهاتٍ حكيمةٍ، ومواعظٍ سديدةٍ، وإرشاداتٍ نافعة⁽¹⁾، والرجاء فيه معنى التَّعليل، فلا تعارض بين القولين.

بلاغة استعمال مفردة التفكير دون التذكُّر:

أمثال القرآن
تحدث عند
المتلقِّي حالة من
التفكير للتجدد
المتواصل

آثر النِّظم الكريم التَّعبيرَ بفعل «يَتَفَكَّرُونَ» دون فعل (يتذكَّرون)؛ لأنَّ التفكير طريق التذكُّر والاعتبار، وبدون الأوَّل لا يحصل الثَّاني، ولا يتحقَّق، وجيء به مضارعاً؛ لما يمتاز به من الدَّلالة على التجدد والتَّكرار، أي: إنَّ الأمثال التي يضربها القرآن للنَّاس تُحدِّث فيهم حالةً من التفكير المتواصل المتجدِّد، الَّذي يُفْضي بهم إلى التذكُّر والاهتداء للعمل الَّذي يقربهم من الجنَّة، ويباعدهم من النَّار، والمعنى: أن تكون حال النَّاس عند مَنْ ينظرهم حال مَنْ يُرجى تفكيره في تلك الأمثال، فينفعه ذلك إذا أراد التفكير إلى التذكُّر، فيتخلَّى عن الشَّهوات البهيمية، فينجو من الحظوظ النَّفسية، ويتحلَّى بالملابس الروحانية، فيصير بالمجاهدات والمنازلات إلى الصِّفات الملكية، فيكون أهلاً للمقامات القدسية في الجنان العلية⁽²⁾.

نكتة حذف متعلِّق «يَتَفَكَّرُونَ»:

التفكير الجادُّ
هو الموصل إلى
الجادة

حُذِفَ متعلِّق فعل «يَتَفَكَّرُونَ»؛ للإشارة إلى أنَّ ضرب الأمثال يُحدِّث في أذهان المتلقِّين حالةً من التفكير المتلاحق في كلِّ المجالات، وليس في مجالات محدَّدة؛ ليستطيع كلُّ من أعمل فكره، وأجهد عقله في التدبُّر أن يتوصَّل بواسطة المثل المضروب إلى ما يجعله منيباً

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 310 / 14.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 463 / 19.

منقاداً للحق⁽¹⁾، عاملاً به، داعياً إليه، أو لتنزيله منزلة الفعل اللازم، أي: لعلهم يتصفون بصفة التفكير الجادّ الموصل إلى الجادة.

بلادة التذليل وغرضه:

جملة: ﴿وَلَيْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ تذييل مؤكّد في أعقاب المثل الذي ضربه الله تعالى بالجبل حين ينزل عليه القرآن؛ ليتأمّل المتلقّي هذا الحالة العجيبة، وأن يتفكّر فيها، وأن يقيس حاله في التعامل مع القرآن، والقيام بحقّ تأمله وتدبره، والاهتداء به بحال الجبل الذي لا يعقل، ولا يفهم، فيترتب على ذلك إحسانه الأعمال التي يقدمها ليوم القيامة؛ كي يكون من أصحاب الجنة الفائزين، وليس من أصحاب النار الخاسرين.

❁ الفروق المُجمِعة:

التصدّع والتشقّق:

الصَّدْعُ: الشَّقُّ، يُقَالُ: صَدَعْتُه فَاِنْصَدَعَ، أي: انشَقَّ، وَصَدَعْتُ الْفَلَاةَ: قَطَعْتُهَا، وَصَدَعْتُ الشَّيْءَ: أَظْهَرْتَهُ، وَبَيَّنَّته، وَالتَّصْدِيعُ: التَّفْرِيقُ، وَتَصَدَّعَ الْقَوْمُ: تَفَرَّقُوا⁽²⁾، أَمَّا الشَّقُّ؛ فهو واحد الشُّقُوقِ، وهو في الأصل مصدر، تقول: بيد فلانٍ وبرجله شقوقٌ، وهو: تَشَقَّقُ يصيب أرساغها، وربّما ارتقع إلى أوظفتها⁽³⁾، ما يعني: أَنَّ الصَّدْعَ هو الشَّقُّ العميق الغائر، أَمَّا الشَّقُّ: فقد يكون ممتدّاً، ولكنّه سطحيٌّ، ولمّا كان البيان معقوداً لإيضاح أثر القرآن في الجبل لو نزل عليه، وخوطب به؛ ناسب التعبير بمفردة (التصدّع)؛ لأنّها تبين الأثر الحقيقيّ الغائر للقرآن في الجبال وفي غيرها من المخلوقات، بينما التشقّق لا يوضّح ذلك؛ لدلالته على أَنَّ الأثر سطحيٌّ، وهو غيرٌ صحيح.

ضرب الأمثال
يُعين الناس على
إحسان الأعمال

التصدّع شقٌّ
كبير في جانبي
جوهر قاسٍ،
والتشقّق فروق
سطحية غير
غائرة

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22 / 550.

(2) الجوهريّ، تاج اللغة وصاحح العربية: (صدع).

(3) الجوهريّ، تاج اللغة وصاحح العربية: (شقق).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والستون،
سورة الخشر من الآية 11 إلى سورة المنافقون الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447 هـ - 2026 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والستون، سورة الخشر من الآية 11 إلى سورة المنافقون الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 61، 814 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-645-72-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 61: المجلد الحادي والستون، سورة الخشر من الآية 11 إلى سورة المنافقون الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-645-72-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6860354 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"